

الحلقة السابعة والعشرون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

هل سمعت مرة صديقي هذا القول: أنه من الصعب إرضاء الناس؟ فالناس مهما عمل لهم، وبأية كيفية قدم لها هذا العمل، من الصعب إرضاؤها. ودائماً يجد الناس شيئاً ينتقدونه. فإن قيل لهم أمرٌ معينٌ لدعوا إلى نقيضه أو عكسه. وإن فعلنا كما شاؤا لعادوا يوجهون الانتقاد أيضاً ويدعون للعكس مرة أخرى.

ولقد حصل هذا الأمر مع الناس حتى في أيام المخلص المسيح. ولهذا نجد المسيح يقول للجموع: «وَيَمَنُ أَشْبَهُ هَذَا الْجِيلِ؟ يُشْبِهُ أَوْلَادًا جَالِسِينَ فِي الْأَسْوَاقِ يُنَادُونَ إِلَى أَصْحَابِهِمْ وَيَقُولُونَ: زَمَرْنَا لَكُمْ فَلَمْ تَرْقُصُوا! نَحْنَا لَكُمْ فَلَمْ تَلْطَمُوا! لِأَنَّهُ جَاءَ يُوحَنَّا لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ، فَيَقُولُونَ: فِيهِ شَيْطَانٌ. جَاءَ ابْنُ الْإِنْسَانِ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ، فَيَقُولُونَ: هُوَذَا إِنْسَانٌ أَكُولٌ وَشَرِيبٌ حَمْرٍ، مُحِبٌّ لِلْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ. وَالْحِكْمَةُ تَبَرَّرَتْ مِنْ بَنِيهَا» (بشارة متى ١١: ١٦-١٩).

لقد أدان المخلص المسيح جيله، فمهما قيل لهم أو فعل أمامهم فإنهم كانوا يعارضونه. فإن زمر لهم أي عزفت ألحان الموسيقى لهم، لم يرقصوا. وإن على العكس ناحوا لهم، لم يبيكوا ويلطموا. أي كان الأمر سيان بالنسبة لهم سواء كانت المناسبة زفافاً أم جنازة تشييع. ولم تؤثر بهم بالتالي الدعوة إلى التوبة سواء جاءت عن طريق الزهد أم عن طريق البشارة المفرحة.

وضرب لهم المخلص المسيح مثلاً واقعياً، فقد جاء يوحنا المعمدان (النبى يحيى) زاهداً بالحياة، يعيش في البرية حياة التقشف، أي لا يأكل ولا يشرب كباقي الناس، وأنكر على نفسه كل وسائل الراحة العادية. ولقد نادى للجموع بعمودية التوبة لغفران الخطايا. فماذا كانت النتيجة؟ لقد أتهم أن به شيطاناً، وأن الله لم يرسله. ولكن في المقابل جاء ابن الإنسان أي المخلص المسيح، يأكل ويشرب بطريقة عادية. فإن كانوا قد اعترضوا على زهد يوحنا، فبالتأكيد كان يجب أن يكونوا مسرورين بطريقة المسيح العادية في الأكل والشرب، واختلاطه بالناس، ولكن لا، فقد قالوا عنه إنه «إِنْسَانٌ أَكُولٌ وَشَرِيبٌ حَمْرٍ، مُحِبٌّ لِلْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ».

أجل مستمعي، هنا نجد بوضوح تناقض الناس، وهو ما نلمسه في كل عصر وجيل. لقد كان يسوع المسيح رجلاً اجتماعياً، يحب الاختلاط بالناس، أي على عكس يوحنا المعمدان. وكان يتحرك بحرية في وسطهم ويشاركهم في ولائهم. ولكن حتى أنسه ولطفه نفسه أسيء تفسيره. فاتهموه بأنه يشبع رغباته. وبالطبع لم يكن يسوع المسيح ليكثر من الأكل والشرب، لذلك كانت تهمتهم باطلة تماماً. نعم كان بحق صديقاً للعشارين، أي جباة الضرائب الظالمين، والخطاة، ولكن ليس بالطريقة التي كانوا يقصدونها. فلقد صادق يسوع هؤلاء الخطاة حتى يخلصهم من خطاياهم، ولكنه لم يشترك معهم أو يوافقهم على أعمالهم.

أن يُتهم المسيح أنه محب للعشارين والخطاة هو أمر إيجابي وجيد. لأن هذا يعني بكل وضوح أنه يحب البشر أجمعين. أو ليس كل البشر خطاة لابل مستعبدين للخطية والشر. وهكذا نقول أن هذه ليست تهمة بل هي صفة هامة جيدة كان يتحلّى بها المسيح، ويا ليتنا جميعاً نتحلّى بها. لكن بالنسبة لليهود المتدينين في ذلك الزمان، الذين يعتدّون بأنفسهم، ويظنون أنهم أبرار، وأن باقي الناس هم خطاة أشرار، وأن الاقتراب منهم يلوّث قداستهم، كانت بالنسبة لهم هذه تهمة كبيرة للمخلص المسيح. إذ كيف يدّعي الصلاح والبر وهو يختلط بالناس الخطاة الأشرار؟

يبدو واضحاً مستمعي أن الناس كما قال المخلص المسيح لا يتجاوبون مع الدعوة التي توجه لهم، وبأي أسلوب أو كيفية أتت. إذ غالباً ما يوجّهون التهم. فقد اتهموا يوحنا المعمدان الذي كان يعيش حياة الزهد بأن به شيطان، وفي المقابل اتهموا المسيح الذي كان يختلط بالناس أنه محب للعشارين والخطاة.

مستمعي الكريم، ماذا يعني القول أن المسيح محب للعشارين والخطاة؟ وهل تعلم أن المسيح قد تنازل خصيصاً من السماء لهذا الغرض بالذات؟ أي لهدف إنقاذ الإنسان الخاطيء من عبودية الخطية؟ وبالتالي كانت المحبة هي السبب الرئيس لمجيئه. أجل، وعلى عكس ما ظنّ اليهود المتدينون فقد كان هذا هو هدف الله الرئيس من إرساله للمسيح. وكان هذا هو غرض المخلص المسيح من مجيئه، أن يعلن محبة الله للجنس البشري. ولهذا لم يكن غريباً لا أن يختلط المسيح بالناس العاديين الخطاة فحسب، بل أن يُحبهم ويُعلن محبته لهم.

ولقد توجّ المخلص المسيح محبته، بأن ذهب إلى الصليب طوعاً واختياراً، لكي يموت عوضاً عنا نحن البشر الخطاة. أي مات لكي يأخذ العقاب الذي كان يجب أن يقع علينا نحن. والهدف لكي يمنحنا الغفران عن خطايانا، وليحررنا من عبودية الخطية، وليجعلنا

من أولاد الله، ولننال الحياة الأبدية. ولهذا كتب الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل قائلاً: «وَلَكِنَّ اللَّهَ بَيَّنَّ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لِأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا» (الرسالة إلى رومية ٥: ٨). أجل لقد بيّن الله أي أظهر محبته للجنس البشري بأن أرسل المسيح إلى عالمنا لكي يموت على الصليب من أجلنا. وفي نفس الوقت أعلن المسيح نفسه وأكد محبته لنا عندما أسلم نفسه لكي يموت على الصليب فداء للجنس البشري. فهل هناك أعظم من هذه المحبة؟ المحبة المضحية الباذلة؟ ولهذا نقول: نعم، لقد كان المسيح بحق محباً للعشارين والخطاة.

وماذا عنك مستمعي؟ ألا تتجاوب مع محبة الله العظمى لك؟ ألا ترغب أن تبادل المسيح محبته المضحية هذه من أجلك على الصليب؟ لم لا تأتي اليوم تائباً عن ذنوبك ومؤمناً بالمخلص المسيح وعمله الكفاري على الصليب. وهكذا تنال الغفران الكامل وتصبح من أولاد الله وتحظى بالحياة الأبدية.